# فوائد منتقاة من:

## (شرح كتاب الإيمان من صحيح البخاري)

## للشيخ / عبد اللّه الغنيمان

## انتقاء: فوزية العقيل..

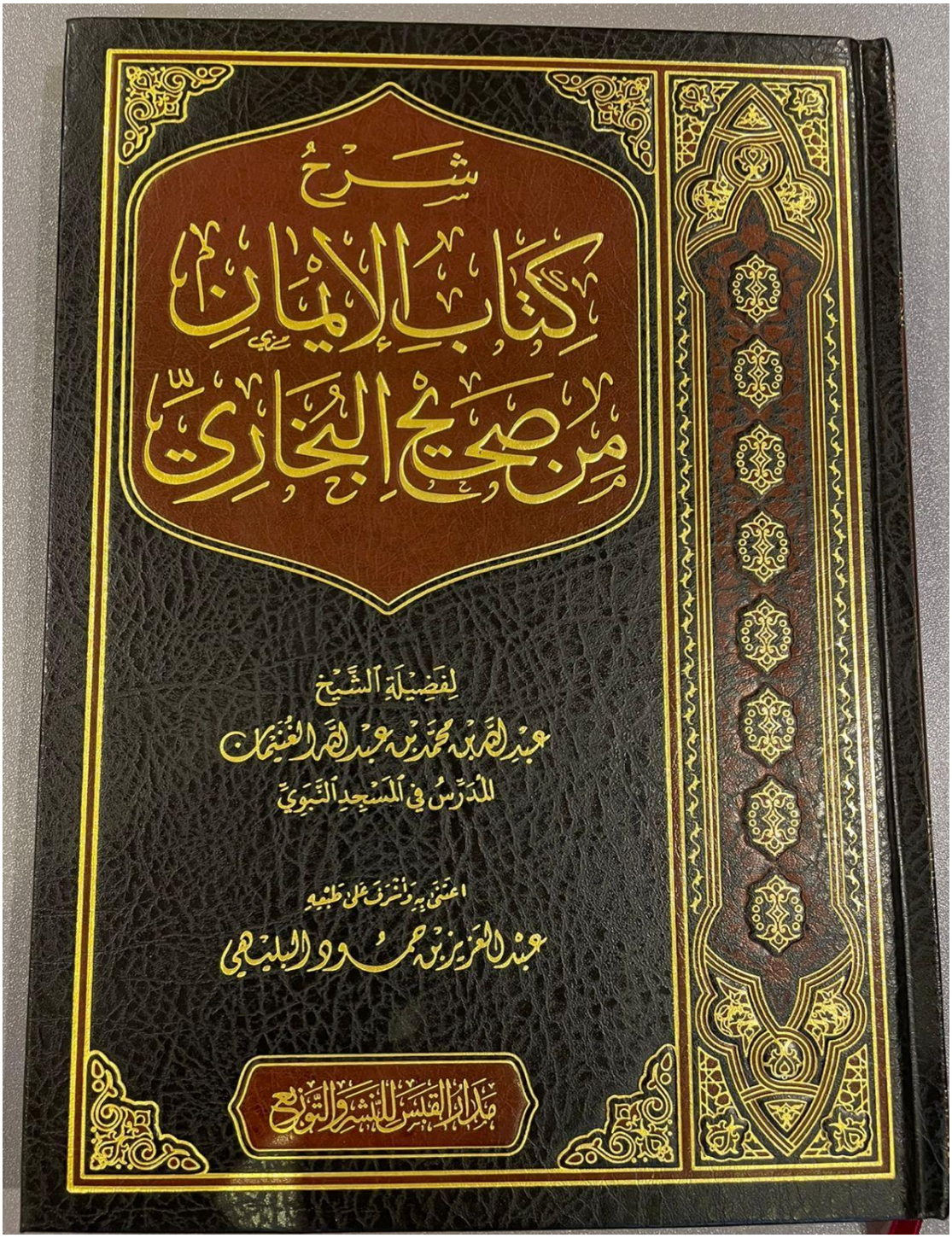

شرح
كتاب الإيمان
من صحيح البخاري
لفضيلة الشيخ
عبد الله بن محمد بن عبد الله الغنيمان
المدرس في المسجد النبوي
اعتنى به وأشرف على طبعه
عبد العزيز بن حمود البليهي
مدار القبس للنشر والتوزيع

الإيمان هو أول ما يجب على الإنسان، وهو أمر مهم لا بد للعبد أن يعرف حقيقته، وأن يتحلَّى به؛ حتى يكون مؤمنًا حقًّا، وقد جاءت الرسل كلها بالإيمان باللّه، وهو امتثال أمْرِ اللّه عز وجل، وأمر رسوله صلى اللّه عليه وسلم واتباع ما كلّفهم به .

وإن كان الإيمان حقيقته في القلب، ولكنه لا بد أن يظهر على الجوارح؛ لأن القلب هو الذي يبعث الجوارح على العمل .

فالإيمان يكون عقيدة في القلب، ويكون عملا للجوارح، والجوارح هي أعضاء الإنسان بما فيها اللسان؛ فأوله النطق بقول: لا إله إلا اللّه ؛ يعني:

اعتقاد أن اللّه هو المألوه وحده، ثم العمل على ذلك؛ ولهذا أول ما يبدأ به الحد الذي

يُعرَف به الإيمان؛ لأن الحدود هي التي تبيِّن المقصود بما يكون حدًّا له، وقد حدَّده أهل السُّنَّة بأنه عقيدة وقول وعمل .

فمجموع الثلاثة هو الإيمان، ولا يصح واحد دون الآخر، فمن جاء باثنين ولم يأتِ بالثالث فليس بمؤمن .

(شرح كتاب الإيمان من صحيح البخاري .. ش/ عبد اللّه الغنيمان ص ١٢)

قوله تعالى : (قُلْ مَا يَعْبُؤُاْ بِكُمْ رَبِي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ) [الفرقان: ٧٧]

وقد سئل شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه اللّه عن هذه الآية، والذي سأله عامي من عوام الناس، فأجابه بلُغَته؛

بلُغة العامي، بقوله: معناه: (وإيش يبِّي بكم ربي لولا دعاؤكم)، الدعاء هو الإيمان؛ يعني: يقول: (قُل مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ) ؛ يعني : ماذا يريد بكم ؟.. لستُم عنده بشيء إن لم تؤمنوا، فأنتم لا تساوون شيئًا عنده . (ص ٣٧)

## الركن الرابع : (وَصَوْم رَمَضَانَ)

هذا في رواية، وفي رواية قُدِّم الحج على الصوم، وتقديم الصوم؛ لأن الصوم فُرِضَ قبل الحج، والحج على القول الصحيح أنه فُرِض في السنة التاسعة من الهجرة ..

والبخاري رحمه اللّه كأنه اختار تقديم الحج على الصوم، صحيح أن الحج

متأخر في الفرضية، والصوم متقدِّم، الصوم فُرض في السنة الثانية من الهجرة، والحج لم يُفرض إلا في السنة التاسعة .

ولم يحج النبي صلى اللّه عليه وسلم في تلك السنة؛ لأن الزمان قد تغير، وكان الحج في غير وقته بسبب النسيء الذي كان يفعله المشركون، وإنما حج في السنة العاشرة؛ ولهذا لما وقف في عرفات وخطب خطبته العظيمة سألهم وقال: (أي بلد هذا؟ وأي يوم هذا؟» إلى آخره.

ثم قال: (إن الزمان استدار كهيئته يوم خلق السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهرًا، منها أربعة حُرُم»، فكانت الجاهلية تعمل أعمالًا من أسوأ ما كان، ولكنهم كانوا يحرمون القتال في أشهر الحُرُم، ولا يقاتلون فيها، وقد استهان بها أكثر المسلمين، فاستباحوا

فيها المحرَّمات! والله عز وجل يقول: (فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ) [التوبة: ٣٦] .

فكانوا يحرِّمون القتال فيها، ولما كان منها ثلاثة متوالية يصعب عليهم أن لا يقاتلوا فيها ، فتحيَّلوا، فصاروا سَنةً يستبيحون القتال في المُحَرَّم، ويُحَرِّمون صَفَرًا بدلًا منه، وسَنةً يتركونه على ما هو عليه، فهم يعرفون أن هذه أشهر حُرُم؛ لهذا كان وفد عبد القيس لا يأتون إلى النبي للي إلا في أشهر حُرُم، يقولون: يحول بيننا وبينك كُفَّار مُضَرَ؛ يعني: لا يتركونهم يأتون إلا في الأشهُر الحُرُم لا يتعرّضون لهم . (ص ٤٤ / ٤٥)

الركن الخامس: (الحج) في اللغة: هو القصد، والمقصود به: قصدُ البيت في وقت معيَّن لأداءِ أمور معيَّنة بيّنها رسول اللّه لِيه، فيدخل فيه عمل البدن، ويدخل فيه نفقة المال، ويدخل فيه خضوع القلب، وهو كثير في الحجّ، مثل: رمي الجمار، ومثل: الطواف بالبيت، والوقوف في عَرَفات، والوقوف في مزدلفة، والمبيت في مزدلفة، والحَلْق أو التقصير.

وهذه أكثرُ الناس لا يعقل معناها، وقد يعترض بعض الناس، يقول:

لماذا هذا الزحام؟ يقتل بعضهم بعضًا على رمي الجمار وعلى الطواف وعلى

كذا ، يقولون: ماذا نستفيد أننا نطوف على البيت ؟!..

نقول: اللّهُ كلَّفنا بهذا، أما حقيقة الأمور فهي إلى اللّه، هذا تعبُّد للقلوب، يجب أن يكون القلب خاضعًا مطيعًا أمر اللّه، عَقَله أو لم يَعقِلْه، عقل حقيقتها ، أو لم يعقِلْها .

ولهذا كان أنس بن مالك رضي اللّه عنه يقول في تلبيته: (لبَيك حقًّا حقًّا ، لبَّيك تعبدًا ورِقًّا)، تعبُّدًا يعني: وإن كنتُ لا أعرف حقيقة الأمر، فأنا خاضع لك ومنيب، ومقيم على طاعتك مرةً بعد أخرى، لا أخالف أمرك ولا أعصيك؛ خوفًا من عقابك، ورجاء لثوابك، فلا بد من هذا .

وهذا الطواف خاص بالبيت، لا يجوز أن يكون على شيء في الدنيا غيره، والطواف عبادة لا يجوز أن يكون إلا على البيت، أما أن يطوف على القبر أو على بِنْية أو على حجر أو على غير ذلك، فإنه لا يجوز؛ بل

يكون شركًا من الشرك الأكبر الذي لا يغفره اللّه إلا بالخلوص منه والتوبة عنه.

وكذلك المناسك الأخرى، وفيها امتحان للقلوب والفكر، وامتحان للأبدان بأن يكون الإنسان مسلِّمًا ومنقادًا ؛ لأن غالب أعمال الحج أمور لا تُعقَل، إنما هي تعبدية كما يقول الفقهاء. (ص ٤٦ / ٤٧)

## قوله: (وَالْيَوْمِ الأَخِرِ)

اليوم الآخر يعني: يوم القيامة وما اشتمل عليه، وفيه أمور كثيرة جدًّا قد بُيِّنَت ووضِّحت في النصوص القرآنية والنبوية .

ودخل في اليوم الآخر:

البعث، والمجازاة، والحساب، والميزان، وغيره، وكل ما أخبر اللّه به أنه يقع في ذلك اليوم، وينتهي بخلود الناس كلهم، سواء كانوا في الجنة أو في النار، فهم خالدون أبداً ما دامت السموات والأرض، هذا مُعذَّب وهذا مُنعَّم، لا بد من الإيمان بذلك.

وسُمي اليوم الآخر بذلك؛ لأنه بعد الدنيا، وهو يوم واحد ما فيه ليالٍ، مستمر إلى ما لا نهاية له، ولكِنَّ أهل الجنة يعرفون وقت الليل والنهار بأمور جعلها اللّه لهم، وليس عندهم ظلام، إنما هم في نعيم كامل .

واليوم الآخر يشمل كل ما ذكره اللّه تعالى من الأمور المستقبلة. (ص ٥١)

وأما نص الحديث: ((لا هجرة بعد الفتح))؛ يعني: المقصود به مكة، انقطعت الهجرة من مكة إلى المدينة - مثلا - التي هي مُهاجَر رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم والمؤمنين معه، فهذه انتهت؛

ولهذا يقول بعض العلماء: هذا فيه بشارة من النبي صلى اللّه عليه وسلم أن مكة لا يزال فيها الإسلام إلى قيام الساعة؛ لأن الهجرة انقطعت منها، فتبقى دار إسلام إلى قيام الساعة، ولا يُعتَرض بهذا على ما ذُكِر أنه في آخر الزمان سوف تُنقَضُ الكعبةُ حجرًا حجرًا ويُرمى بها في البحر !.. لأن هذا في نهاية الأمر - واللّه أعلم - بعدما يُرفَع القرآن من الأرض، فإنه إذا تُرك العمل به يرتفع إلى قائله، وإلى من هو صفة له؛ إلى اللّه ،

يُسرَى عليه في ليلة واحدة؛ فلا يبقى منه حرف واحد، لا في الصدور ولا في المصاحف، فيصبح الناس لا يعرفون معروفًا، ولا ينكرون منكرًا، يتهارجون تهارُجَ الحُمُر، وعليهم تقوم الساعة !.. والساعة هي: النفخ في الصور . (ص ٦٤)

قوله تعالى : (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ) [فاطر: ٣٢]

ثم ذكر أن هؤلاء الأقسام الثلاثة كلهم في الجنة: الظالم، والمقتصد، والسابق بالخيرات، فهل تكون درجاتهم سواء ؟..

لا، أبداً، تختلف اختلافًا عظيمًا، ثم دخولهم لا يكون سواء، الدخول نفسه لا يكون سواء؛ منهم من يدخل بلا عذاب يصيبه، ولا حزن يُلِمُّ به ولا خوف.

ومنهم من يناله ما يناله؛ من عذاب، أو تأخُر، أو غير ذلك، كما هو مقتضى النصوص الكثيرة،

ولكن المقصود هنا: أن الأعمال تدخل في مسمَّى الإيمان، سواء كانت الأعمال فرضًا وواجبة، أو أنها فضل وإحسان وخير، هذا مقصود البخاري، وبهذا يكون ردًّا على المرجئة الذين قالوا : لا يضر ترك العمل، إذا حصل أصل الإيمان فلا يضر ترك العمل !. (ص ٧٠)

والنفاق من أضر الأمور على المسلمين والإسلام؛ لأن المنافق يكون مع المسلمين ويطَّلع على خفايا الأمور، وعلى عوراتهم وعلى ضعفهم، فيدل العدو على ذلك.

ولهذا حذر اللّه منهم كثيراً، ووصفهم أوصافًا كثيرة؛ ففي سورة البقرة ذكر المؤمنين بثلاث آيات في أولها، ثم ذكر الكافرين بآيتين، ثم ذكر المنافقين بثلاث عشرة آية !..

وجاءت سورة التوبة كلها فيهم، وسورة المنافقون، وغيرها من السور كثير،

وأخبر عز وجل أنهم أصحاب لسان وأصحاب مناظر وأُبَّهات، (وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ) [المنافقون: ٤]؛ يعني: ذوي فصاحة وبلاغة. (ص ٩٢)

حديث البخاري : (يَدْخُلُ أهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، وأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يقولُ اللَّهُ تَعَالَى: أخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَن كانَ في قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِن خَرْدَلٍ مِن إيمَانٍ. فيُخْرَجُونَ منها قَدِ اسْوَدُّوا، فيُلْقَوْنَ في نَهَرِ الحَيَا، أوِ الحَيَاةِ - شَكَّ مَالِكٌ - فَيَنْبُتُونَ كما تَنْبُتُ الحِبَّةُ في جَانِبِ السَّيْلِ) ..

المقصود بأهل النار هنا الذين يخرجون منها، وهذا يدل على دخول كثير من المسلمين النار ثم يخرجون إلى الجنة، يقول اللّه جل جلاله : (أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبةً من خردل من إيمان، فيهرجون منها قد اسودّوا) ..

ولكن يُفهَم من قوله: (قد اسودُّوا، فيُلقَون في نهر الحيا أو الحياة) ؛ أي: أنهم قد

يحترقون ويموتون، فلا يكون فيهم إحساس، فيكون هذا خاصًّا بهم ورحمة لهم، وقد جاء في (صحيح مسلم) التصريح بهذا ؛ أنهم يموتون، هؤلاء من أهل الإيمان، ثم يخرجون صَبَائِر ضَبَائِر ؛ يعني: أنهم يُضمُّ بعضهم إلى بعض، فيُلقَون في هذا النهر، يقال لأهل الجنة: أفيضوا عليهم، فيَنبُتون، النبت هذا لأبدانهم وأجسادهم؛ لأنها احترقت، صارت حُمَمًا ؛ يعني: فحمًا، بخلاف الكافرين؛ فإنهم كلما نضجت جلودهم بُدّلوا جلوداً غيرها ؛ قال تعالى : (الَّذِينَ كَفَرُوا بآياتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ) [النساء: ٥٦] نسأل اللّه العافية .

و (كُلّما) هذه لما لا نهاية له، كلما جاء شيء خلَفَه مثله؛ لأن الإحساس الشديد في

الجلد، يُبَدَّلون جلوداً غير جلودهم، أما هؤلاء الموحِّدون لم يُبَدَّلوا، احترقت جلودهم ولحومهم وعظامهم كلها ، هذه رحمة بهم.

وقوله: (في نهر الحياة) هذا الذي رجحه الخطابي وغيره: أنه الحيا، وليس الحياة، ويقول: الحيا، وهو المطر، هذا لا يزال يعرفه الناس، يقولون: نزل الحيا، يُسمُّون المطر حيًّا؛ لأنه تحصل به الحياة؛ حياة الأرض.

وقوله: (فيَنبُتون كما تَنبُت الحِبَّة) الحِبَّة : هي بذرة الشيء، بذر العشب وغيره من النبات. (ص ١١٢/ ١١٣ / ١١٤)

يقول العلماء:

إنه يُفهَم من هذا أن الإيمان الذي يكون في القلب لا تقتسمه الخصوم؛ بل يبقى للعبد، وإنما الخصوم يأخذون الأعمال التي يعملها؛ من صلاة، وصوم، وحج، وصدقة، وغير ذلك.

أما الإيمان فيبقى، بدليل أنه لو أُخذ إيمانه ما دخل الجنة ولا خرج من النار، بقي الإيمان عنده لم تتقاسمه الغرماء، والغرماء سوف يجتمعون عند اللّه، يوم تجتمع الخصوم عند اللّه ثم يحكم بينهم، والحُكم لا بد من أداء الحق، والحقوق هناك ما فيها أموال ولا أثاث ولا شيء، إنما هي أعمال، فيؤخذ من عمل الإنسان ويُعطى المظلوم

حتى يستوفي، ما الظن إذا كانت الخصوم كثيرة ؟!..

جاء في الحديث أن الذي يَخلُف الغازيَ في سبيل اللّه في أهله بسوء؛ يعني: يخون بهم؛ أنه يوقَف له يوم القيامة، ويقال له: خذ ما تشاء من أعماله، ثم التفت إليهم صلى اللّه عليه وسلم ، وقال: ما ظنكم؟ هل يُترَك له شيء؟ ما يُنرَك شيء له، يأخذ عمله كله، فإذا أُخذ عمله أُلقي في النار . (ص ١١٥)

حديث : (أُمِرْتُ أَن أُقاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَن لا إِلهَ إِلاَّ اللَّه وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، ويُقِيمُوا الصَّلاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكاةَ، فَإِذا فَعَلوا ذلكَ، عَصَمُوا مِنّي دِمَاءَهُمْ وأَمْوَالَهم إِلاَّ بحَقِّ الإِسلامِ، وحِسابُهُمْ عَلى اللَّهِ) ..

يبقى في بعض الروايات أنه لم يذكر الصوم، فما سبب عدم ذكره ؟..

والجواب عن هذا : أن الصوم ليس من الأمور الظاهرة؛ لأنه في الواقع سر بين العبد وبين ربه؛ لأن بإمكان الإنسان أن يُظهر أنه صائم، وإذا خلا بنفسه أكل وشرب دون أن يعلم به أحد !..

فإذا امتنع من الأكل والشرب دل على أنه مؤمن، وأنه مراقب للّه جل وعلا ، فوُكِلَ إلى إيمانه ولم يُذكَر، هذا هو السبب في هذا . واللّه أعلم . (ص ١٢٦ / ١٢٧)

ثم يقول لأصحابه وهو في الجنة: (قَالَ هَلْ أَنتُم مُطَّلِعونَ) [الصافات: ٥٤]؛ يعني :

إلى النار (فاطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ) [الصافات:٥٥]؛ يعني: في وسَطِها، فصار يخاطبه يقول: (قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ @ وَلَوْلا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ) [الصافات: ٥٦ / ٥٧] إلى آخر الآيات .

وهذا من العجائب !..

يعني: رجل في النعيم في أعلى الجنة إذا أراد أن يطَلع في جهنم اطَّلع، ذهب وصار هذا سهلًا عنده، ثم يخاطب من في النار؛ وذلك لأنهم فيما يشتهون وما يريدون يحصل لهم، فـ (لِمثلِ هَذَا) الإشارة إلى النعيم الذي ذكره هذا القرين، وهذا المقام الذي نحن فيه (فَليَعْمَلِ العامِلونَ) .

هذا الكلام كأنه شيء واقع، وهو سيأتي، لكن لتحقق الوقوع ذُكر بصيغة الماضي الذي

يدل على أنه وقع وانتهى، وهو لم يأتِ بعد، ولكن سوف يقع كما أخبر اللّه جل وعلا تماماً ، وهذا كثير في كتاب اللّه جل وعلا . (ص ١٢٩)

والعبد لا بد أن يصيبه ما يصيبه، فيوطّن نفسه على أنه سيصاب بالأمراض، ثم في الأخير بالموت، كلها مصائب، فيجب أن يصبر؛ لأن هذا أمر اللّه، كتبه عليه ولا بد من وقوعه، وهذا من جهاد النفس ..

ثم كذلك جهاد الشيطان، فالشيطان يحتاج إلى مجاهدة، ومِن أظهرِ هذه الأمور الصلاة؛ فإنه كما جاء في الحديث: (إذا نودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضُراط، حتى لا يسمع التأذين، فإذا قُضي النداء أقبل، حتى إذا

ثُوِّبَ بالصلاة أدبر، حتى إذا قُضِي التثويبُ أقبل، حتى يخطُرَ بين المرء ونفسه، يقول: اذكُرْ كذا، اذكرْ كذا) يعني: هذا في نفسه، وأعطاه اللّه مقدرة على معرفة الشيء الذي يكون للإنسان به تعلُّق، فتجده مثلًا يذكر أشياء في الصلاة لا يذكرها خارج الصلاة، كل ذلك من الشيطان؛ حتى يشغله عن الصلاة؛ لأن الصلاة صلة بين العبد وبين ربه، فهو يريد أن يقطع هذه الصلة؛ لخبثه وحسده وعداوته، فيجب أن يجاهد هذه اللحظات التي يكون الإنسان في الصلاة، فيجتهد بطرده وحضور قلبه، ويتأمل ماذا يقال، وماذا يتلى، ويتأمل ماذا يفعل هو، ويتأمل أين هو؟ فإن العبد إذا قال: اللّه أكبر، فإنه رفع الحجاب بينه وبين ربه . (ص ١٣٠ / ١٣١)

وهذا يدل على أن الإنسان لا ينبغي له أن يقول: أنا مؤمن ويجزم؛ بل يقيِّد هذا، كما هو مذهب أهل السُّنَّة، بأن يقول: أنا مؤمن إن شاء اللّه، وليس هذا شكًّا، كما تقوله المرجئة، يسمون أهل السُّنَّة شكَّاكًا، يشكّون في دينهم، والشك في الدين كُفر .

ونقول: هذا ليس شكًّا، هذا استثناء؛ لأن الإيمان درجته رفيعة، فإذا قام الإنسان بالأوامر على الوجه المطلوب صار مؤمنًا، ولكن هل يأتي بها على الوجه المطلوب؟ لا يلزم، صلينا قبل قليل، ولكن هل جئنا بالصلاة على الوجه المطلوب الأتم ؟!.. ما يلزم، هذا نادر؛ ففيها سهو، وفيها غفلة، وفيها إعراض، وفيها وفيها .

فكل واحد منا قد لا يرضى عن عمله هذا، يود أن يكون أحسن حالًا ؛ فلهذا الأعمال كلها على هذا الوجه، إذا علم الإنسان أنه أتى بالأوامر على ما أمر اللّه ورسوله، واجتنب النواهي كذلك، فليجزم، يقول: أنا مؤمن، ولكن هذا صعب .

أما الإسلام فلا استثناء فيه، يعني : ما يقول أنا مسلم إن شاء اللّه، بل يقول أنا مسلم ويجزم . (ص ١٣٥ / ١٣٦)

قوله صلى الله عليه وسلم: (أُرِيتُ النار) هذه (أُرِيتُ) يجوز أن يكون في اليقظة، ويجوز أن يكون في النوم، وكلاهما سواء؛ لأن منامات الرسول صلى اللّه عليه وسلم كيقظته، وهو

تنام عيناه ولا ينام قلبه، فقلبه يقْظان دائمًا، فرؤيته؛ يعني: رؤية المنام التي يراها كرؤية العين، فهي وحي .

وفي هذا دليل على وجود النار، وأنها موجودة الآن؛ لأنها لو كانت غير موجودة الآن ما رآها، وأدلة هذا لا حصر لها، والقرآن مملوء من الأدلة التي دلت على وجودها؛ كقوله: (أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) [البقرة: ٢٤] الإعداد فيما يأتي؟ إنه شيء موجود.

قوله: (أُرِيتُ النَّارَ) وهذه الرؤية قد تكون في المنام، وقد تكون في اليقظة، وهو رآها في منامه ورآها في يقظته، وعُرِضَت عليه في مسجده لما قام يصلي صلاة الكسوف، فتقدَّم ثم تقهقر ثلاث مرات، فلما سألوه قال:

«عُرِضَت عليَّ الجنة والنار دون هذا الحائط، حتى خفتُ أنها تأتي عليكم، فقلتُ: يا ربِّ وأنا فيهم ؟!» ..

فكل هذا بقدرة اللّه جل وعلا، كما أنه زُوِيَت له الأرض وشاهد مشارقها ومغاربها، كل ذلك من الآيات التي يعطيها اللّه رسولنا صلى اللّه عليه وسلم . (ص ١٤٢)

يبقى : لماذا تُعطف الأعمال على الإيمان ؟.. {الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [سورة البقرة : ٢٥]

المرجئة قالوا: إن هذا يدل على المغايرة في العطف؛ أي : إن الأعمال غير الإيمان، والصحيح أنه ليس كذلك؛ بل على العكس

من ذلك، يدل على أن العمل من الإيمان؛ فكثرة تكرار العطف يدل على الاهتمام به وأنه منه.

وهذا كثير في كتاب اللّه؛ كقوله تعالى: (غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ) [غافر: ٣)

فغافر الذنب هو قابل التوب، كما أن العطف يختلف باختلاف سياقه؛ فقد يُعطَف الشيء على نفسه، وقد تُذكر أوصافه فقط، كما قال جل وعلا : (سَبِّحِ ٱسمَ رَبِّكَ ٱلأَعلَى (١) ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٣) وَٱلَّذِي أَخرَجَ ٱلمَرعَى (٤)) [الأعلى: ١/ ٤] إلى آخر الآيات، كل هذه أوصاف فقط مع المغايرة، وقد يكون عطف الكل على البعض أو عطف البعض على الكل، كلها لأجل ذلك؛ إذن فليس العطف للمغايرة مطلقًا . (ص ١٧٠)

قوله صلى اللّه عليه وسلم : (وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ) الغَدوةُ: الذَّهاب في أول النهار، والرَّوحةُ: في آخره؛ يعني: استعينوا في العمل في هذه الأمور في أول النهار؛ يكون الإنسان عنده نشاط وعنده فراغ، فيعمل الشيءَ الذي يرتبه لنفسه؛ إما صلاةً، أو قراءة، أو ذكرًا، أو ما أشبه ذلك .

والرَّوحةُ: ما كان بعد الظهر؛ فالسير بعد الظهر إلى غروب الشمس يسمَّى رواحًا ، والذي بعد صلاة الفجر وأول النهار يسمى غُدُوًّا، وقد أمر اللّه جل وعلا أن يُسَبَّح بالعَشيّ والإبكارِ .

* وقوله: (وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ) الدُّلْجةُ: هي المَسير آخر الليل، أدلج يعني : إذا سار آخر الليل .

وقد جاء الأمر بذلك، وأن الأرض تُطوى في هذا ؛ يعني: آخر الليل؛ يعني: أنكم تعملون في هذه الأوقات، أول النهار وآخر النهار، وتأخذون شيئًا من آخر الليل؛ حتى تصيبوا المقصود . (ص ١٨٢)

ولهذا كان صلى اللّه عليه وسلم لمَّا قَدِمَ المدينة كان يصلي إلى بيت المقدس ؛ مراعاة وتأليفا لليهود؛ لعلهم يُسلمون، ولكنهم أصحاب عناد وكبر وحسد؛ حسدوا المسلمين، وحسدوا الرسول صلى اللّه عليه

وسلم ، لماذا لم يكن من بني إسرائيل، ما كان من ذرية يعقوب عليه السلام ؟..

ولما كان من العرب حسدوهم وحسدوه، وقالوا : ليس هذا هو، مع أنهم في الأصل جاؤوا إلى المدينة ينتظرون خروجه، وإلا ليست المدينة مساكنهم في الأصل، جاؤوا لأجل ذلك، فلما خرج كان كما أخبر اللّه عنهم بقوله: ( فَلَمَّا جَآءَهُم مَا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ) [البقرة: ٨٩] وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم!.

بل قال عبد اللّه بن سلام الذي هو خيرهم وأفضلهم ؛ لأنه آمن باللّه جل وعلا :

واللّه إننا لنعرفه أكثر من معرفتنا لأبنائنا ؛ لأن أحدنا يخرج من بيته، فما يدري ماذا تصنع زوجته، أما هو فلا ريب ولا شك فيه !.

وهكذا هم يعرفونه كما أخبر اللّه عنهم، ومع ذلك كفروا وأبوا متابعته؛ لأنه هو الرسول الحق، ولا يزالون على شرهم إلى اليوم إلا من هداه اللّه، فقد يُهدَى منهم من يُهدَى. (ص ١٩٠)

قوله: (وكان أحبَّ الدينِ إليه ما داوم عليه صاحبه) الذي يكون أحبَّ إلى النبي صلى اللّه عليه وسلم فهو أحب إلى اللّه، وأحَبُّ: أفعل تفضيل؛ يعني: أن هناك شيئًا محبوبًا ، ولكن هذا أفضل، ما داوم عليه صاحبه ..

وعلى هذا نقرأ كثيرًا في الكتب التي تذكر التراجم وما يفعله الناس: أن فلانًا كان لا ينا م الليل، وكان يصلي ألف ركعة، وكان وكان .. إلى آخره ..

فمثل هذا لا يجوز؛ لأن هذا خلاف الحق، ثم يذكرونه على سبيل المدح والثناء !. (ص ٢٠٠)

بعض أهل الإسلام يدخلون النار، وقد تواترت الأحاديث في هذا، وأن كثيرا منهم يدخل النار ثم يخرج منها .

يعني كما سبق؛ ولهذا قد يُعذَّب في القبر، وقد يُعذَّب أيضًا في الموقِف، فإن لم يكفِ هذا عُذّب في النار ..

وقد أثبتت النصوص بأن عذاب القبر سببه المخالفات، وارتكاب المعاصي، هذه أمور يجب على الإنسان أن يحذر منها، والعبد ضعيف، والقبر فيه حياة، ما يكون جثة هامدة لا يحس بشيء؛ بل هو يحيا في القبر !.

وهذه الحياة حياة غيبية لا نعرف حقيقتها، ولكنها حياة كما أخبر الرسول صلى اللّه عليه وسلم بذلك في أحاديث كثيرة، وربنا جل وعلا أخبرنا بهذا، لما قال جل وعلا في آل فرعون: {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُواْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ} [غافر: ٤٦].

إِذَن هذا نص بأنهم في البرزخ يُعْرَضون على النار بُكرة وعَشِيّا، وعَرْضُهم عذابُهم يُعذَّبون به، وجاءت النصوص الواضحة في السُّنَّة بهذا؛ ولهذا كان إنكار هذا من الضلال.(ص ٢٠٦)

الملائكة الذين لم يُذكَروا لنا نؤمن بما ذكر اللّه جل وعلا من وظائفهم ؛ كالذين

كُلّفوا بحفظ الأعمال، والذين كُلِّفوا بقبض الأرواح، ونفخ الروح في بطن الأم، وكذلك الذين جعلهم اللّه في السماء يتعبدون، السماء مملوءة بهم، كما قال صلى اللّه عليه وسلم : (أطَّتِ السماء، وحُق لها أن تئطَّ ! ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً للّه!» والأطيط: هو صوت الرَّحلِ من الحمل الثقيل.

وفي حديث الإسراء: (فرُفِعَ لي البيت المعمور، فسألت جبريل، فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم!)؛ لأنه لا تتهيأ لهم الفرصة، فلا يستطيع إلا مرة واحدة ؛ لكثرة الملائكة !..

وهو جعل البيت المعمور في السماء لتعبد الملائكة كالبيت الذي جعله اللّه جل وعلا في

مكة؛ ليتعبد فيه المؤمنون بالطواف والقيام وغير ذلك . (ص ٢٣٥ / ٢٣٦)

قوله صلى الله عليه وسلم : (أن تعبد اللّه كأنك تراه)، ومن المعلوم أن الإنسان إذا عبد ربه على المشاهدة أنه لا يدّخر وُسعًا في تحسين العمل، ومنه التأمل والحضور، والخشوع والذل والخوف، كله يشتمل على هذا، فإن لم تكن على هذه الصفة فانتَقِلْ إلى الصفة الأخرى، وهي العلم؛ ولهذا قال: (إن لم تكن تراه فإنه يراك) ؛ يعني : اعبُدْه على أنه يشاهدك ويراك، والأُولى أكمل.

قوله: (متى الساعة؟) هذا سؤال عن الوقت، متى مجيئها؟ والساعة:

المقصود بها النفخ في الصور، هي الساعة، إذا نفخ فيه هلك كل حي؛ بل الجبال تزول من أماكنها وتصبح كأنها سراب وهباء منثور! يعني:

تُرَجُّ الأرض رجًّا، وتُبَسُّ الجبال بسًّا من شدة النفخ، وكذا السماء تمور مَورًا، فأمرها شديد جدًّا، وهذه النفخة التي تجعل الجبل كثيبًا ، هل يقوم لها شيء؟! لا يمكن أن يوجد حيٌّ مع هذا ؛ ولهذا يموت كل حي !.

وسميت الساعة ساعةً؛ لأنها تقع في لحظة، مثلما قال اللّه جل وعلا : ( وَلِلهِ غَيْبُ السَّمَوَتِ وَالأَرْضِ وَمَآ أَمْرُ الساعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ} [النحل: ٧٧).

وبها نهاية هذه الحياة؛ نهاية الدنيا وبدء اليوم الآخر، واليوم الأخر يوم واحد لا نهاية له، ليس فيه ليل. (ص ٢٤٠)

نفقة الإنسان على زوجته أمر واجب لا بد منه، فإذا لم يحتسِبْها وينوها فإنه قا م بما يجب

عليه خوفًا من اللّه، وأداء للحق الذي لزمه، أثيب على هذا ..

أما إذا كان الأمر على العادة فقط، هذا لا يثاب ولا يعاقب عليه، فلا بد من النية في مثل هذا، ومثل ذلك الأكل، ومثله النوم والمشي والجلوس، وغير ذلك مما جاءت به النصوص عن النبي صلى اللّه عليه وسلم .

لكن الواجب في الشرع إذا فعله أثيب عليه، وكذا المستحب .

والأمور المباحة تكون بالنية عبادات، وإذا فُقدت النية فهي عادات، فإذا أكل بنية التقَوِّي على طاعة اللّه، وكف التطلُّع على ما في أيدي الناس وعن الحرام؛ كان هذا عبادة، أما إذا كان على العادة، فهو أمر مباح لا له ولا عليه . (ص ٢٦٠)